حشوة بالمعلمين

يقرن المدرسة بالألم والعقاب
حوا بحاجة إلى علاج..."!!"

انة ركيزة إعداد الطفل للحياة

معلمة تطرح سؤالاً ذكياً:

لماذا يحب الطلاب المشرف الرياضي؟

▫ أحمد الطيري ▫ أحمد المقطري

الطلاب: "خبيث"، كانت ملامحها جادة، ولا تخلو من ذكاء.

حين مر مدير المدرسة بجوارنا يسأل عما يحدث قررت التكفير عن ذنب شتيمة قد تحسب عليها فتعلقت بيده وقالت: "أنا أحب هذا.. إنه أحسن أستاذ". المدير أحمد عبدالله الطيري أخذنا إلى مكتبه، وأخبرنا "الضرب ليس ضمن الوسائل التربوية الجيدة".

إنه غير مقتنع به رغم يقينه بأن كثيرين يضطرون للجوء إليه. وقال: "نحن نمنع استخدام هذه الوسيلة إطلاقا، وهناك تعميم بذلك وقع عليه كل المعلمين في المدرسة"، والأمر أكثر تأكيدا بالنسبة للمراحل الابتدائية.

حين خرجنا من مكتب أحد مدراء المدارس كانت معلمة تضرب بقسوة عددا من الطلاب، لم يكن المصور موهوبا بالقدر الكافي، لكنه التقط صورة، قالت المعلمة: "إذا صورت ساقاضيك"، حسنا.. بمكننا أيضا مقاضاتها بتهمة انتهاك حقوق الأطفال.

المدير برر: "بعض العينات من الطلاب تستفزك، وتجبرك على استخدام العصا"، كان محقا، فإحدى المعلمات التي وجدنا تضرب طلابا بوحشية لأنهم تأخروا كانت مستفزة ومنفعلة، لكن معلماً ينفعل لا يصلح لأن يدرس ناهيك عن تدريس المراحل الابتدائية.

معلمون....!

نجوى الشرفي معلمة منذ سبع سنوات، وهي خريجة قسم (دراسات اسلامية) ومتأكدة بأن الضرب وسيلة غير تربوية، وأقسمت بأنها لا تستخدمها، رغم هذا: "بعض الطلاب لا تستطيع إلا أن تعاقبه بالعصا". وقالت: "إنها التربية، فالطالب معتاد ألا يردعه إلا الضرب، إنه وسيلة التربية في المنازل وفي كل مكان".

ومثل كثيرين من المعلمين قالت نجوى بأنها متأكدة أن كليات التربية لا تؤهل معلمين قادرين على التعامل مع الفصول الإبتدائية، وحتى المتوسطة والثانوية، إن كثيرا من المدرسين لا يفكر إلا في كيف ينتهي من درس حتى تحت تهديد العصى.

وبألم أردفت: "كليات التربية أصبحت مثل ملاذ للفاشلين"، فمن لا يستطيعون الدراسة في أي مكان بإمكانهم الإلتحاق بكلية التربية والدراسة والتخرج دون وجود معايير.

أسلوب غير جيد

تبدو أوصاف المعلمين للضرب أكثر تواضعا، كوكب عز الدين تدرس منذ خمس سنوات مادة التاريخ قال: "الضرب اسلوب غير جيد"، وتعترف بأنها تضطر لاستخدامه مع بعض الطلاب، وقالت أيضا: "التربية عند البعض ليست حديثة، فحتى في المنزل يعتاد الطفل على أن الضرب هو ضمن وسائل تعليمه".

المسؤولة الاجتماعية في المدرسة منال غيلان وهي متخصصة في علم النفس قالت بأن الضرب "ليس وسيلة تربوية إيجابية"، لقد مضى أربعة أعوام منذ بدأت العمل في حقل التعليم، وهي لم تجد كثيرين يريدون التخلي عن فكرة استخدام العصا.

قالت: "يفترض في المعلم أن يكون قادرا على خلق صداقات مع طلابه تساعده على اكتساب احترامهم والتحاور معهم"، إن العقاب ضرورة تعليمية، لكنه دائما يكون بأساليب ذهنية وعاطفية أكثر من بدنية من جهة نظرها، وطرحت سؤالا ذكيا: "لماذا الطلاب كلهم يحبون المشرف الرياضي".

كان ذلك واضحا.. كثير من الطلاب حين سألناهم عن أفضل معلم قالوا إنه المشرف الرياضي، إنه يسمح لهم باللعب، لكن أحدا لن يفكر في جعل التعليم مثل ممارسة اللعب، إنه سجن داخل أربعة جدران وأربعون دقيقة من الحشو والتلقين، أحد المختصين قال وصفا جميلا: "بعض المعلمين يتعاملون مع الطلاب وكأنه وعاء فارغ يجب أن يمتلئ".

وأساليب حديثة..

ليس بمقدور المعلمين التفكير في أساليب لإيصال ما لديهم من معارف إلى الطالب في شكل ترفيهي، أو بشكل نشاط، فالحصة أربعون دقيقة، وعليه الانتهاء من المنهج قبل نهاية الفصل وكأن المنهج تنزيل لا وسيلة لغاية. إنها مبررات، حتى لو تخصص كل معلم بالنسبة للصفوف الأساسية لصف واحد طوال اليوم وطيلة العام كما كان في الماضي لن ينجح بمستواه الحالي.

يقول بعض المعلمين عن أساليب التعليم الجديدة: "غير ممكن تطبيقها.. لا يمكنني أن أناقش مائة طالب"، إنها ليست معجزة ، لكنا ما زلنا غير مستوعبين لمعنى مناقشة الطلاب، كنت في فصل لا يقل عدد تلاميذه عن ٧٠ وأنا في المراحل الإبتدائية.

ما زلت أذكر ذلك بقوة لأنها أيام لا يمكن أن تنسى، وبشكل أقوى أذكر اليوم الذي بكينا على مغادرة المدرس، كان قادرا رغم قصره على جعل حصصه ممتعة وكل شيء يدعو للتنافس، حتى دفتر تحضير الدروس الخاص به، كنا نتسابق من يحمله إلى المدير ليوقعه، كنت كثيرا أفرح بذلك لمجرد النظر في صفحاته المنسقة بعناية ورسوماته الجميلة وألوانه الخشبية الزاهية. فمن من مدراء المدارس اليوم يوقع على دفاتر تحضير الدروس كل يوم؟.

في صعدة كان مدرس سوري متخصص في تعليم المراحل الأساسية يجعل من طلابه المائة والخمسين شعلة من النشاط، كان في الصف شقيقان لي، ومن أجله كانا يتسابقان بقوة لجمع العيدان وجعلها في حزم تشبه تلك المرسومة في الكتاب، وكل حزمة مكونة من عشرة عيدان، والعشر الحزم تكون مائة عود، وهكذا تعلما الأرقام وترتيبها بشكل منطقي بعيدا عن التلقين.

هذا الحديث وغيره دار بين المحرر ومعلمين، بعضهم كان يضيف أمثله، وبعضهم كان يجادل بالإنكار مثل أحد المعلمين الشباب الذي أراد تحريم الضرب، وحين زرناه في أحد الفصول كان عشرة طلاب يقفون أمامه يمدون أيديهم لعصاه الجائرة.

المشرفة الاجتماعية منا غيلان تؤكد: "الضرب أو أي أساليب التعزير الجسدي لا تأتي بنتائج جيدة حتى وإن بدا ذلك من وجهة نظر المعلم"، فالطالب قد يقوم بأداء واجباته المدرسية خوفا من المعلم، لكنه لن يتعلم معنى القيام بالوجبات والأعمال، ومعنى أن يتعلم، وأن يغدو مبدعا ومميزا..هكذا شرحت.

أطفال...

في صفوفهم وجوه تصنع ابتسامتك، لن تقوى على استخدام غير الابتسامة، عيونهم الصغيرة والصافية تتطلع إليك بفضول يجعلك تتساءل: "لماذا لا يستغل المدرسون هذا الفضول"، بمقدورك أن تكون صديقا لـ"٢٠٠" طفل من أجل نظراتهم هذه، فليس سهلا أن ينظر إليك أحد بقداسة.

تشعر كم هم مستعدون لتلقي شيء جديد، وكم هو سهل أن تغدو صديقهم، حين ينظر إليك الناس باعتبارك شيئا مهما، يكون سهلا أن تكسب صداقاتهم وتطويرها. لكن حين تتهاوى هذه الصورة في أذهانهم، وتشعرهم بخيبة الأمل لن يرحموك.. هل هذا ما يحدث؟.

كانت الفتيات أكثر جرأة وشجاعة ويرفضن الضرب، إحداهن قالت: "الضرب مهم لأنه يجعل الفصل يهدأ ونقدر نفهم"، بعد مزيد من الأسئلة اعترفت بأنها تشعر بالألم حين تعاقب زميلتها لأي سبب، وتشعر بالخوف.

صغار آخرون قالوا ذلك، طالب في أحد الصفوف الأساسية قرر قول شيء، كان زميله يدافع دون قناعه عن عصا معلمه، حين قاطعه: "العصا مش كويسه، أصلا الحمار هو الذي يضرب.. إحنا مش حمير"، اقتربنا وشعر بالأمان، تابع: "بعض الاساتذة يجي عصبياً ويريد أن يضرب كل واحد، أقله اسمح لي أفهمك ولا يرضى".

ختام...

لماذا لا يقبل معلم سماع وجهة نظر طالب؟ ربما تكون خاطئة، أو غير صحيحة، لكنها مدخل جيد ليغدو صديقا، بمقدوري الاجتهاد بعد أيام من دراسة الموضوع، سأخبر الطالب: "حسنا.. سأصدقك.. أنت صادق ولا تكذب، لكن عدني أن تفعل ذلك اليوم وأنا سأساعدك إذا قابلتك مصاعب"، وسآخذ منه وعد صديق، سأعرض عليه التحدث إلى والده، ولم لا؟، أليست مهمتي؟.

مشكلتنا أننا نريد جعل كل شيء وظيفة وليس إبداعا، وهو وضع طبيعي حين يصبح الشخص معلما لمجرد أنه لم يجد غير هذه المهنة، قال ذلك مختص فضل عدم ذكر اسمه، فهو لم يكن متحمسا كثيرا لمناقشة هذا الموضوع.

وقال: "أنت فاشل وغير مقبول في كل الكليات إلا كليات التعليم.. إذا أنت لم تختر المهنة، أنت بحثت عن وظيفة فقط"، كان محقا، ومقنعا، لكنه رفض الإدلاء بحديث لأن الأمر "غير مجد" من وجهة نظره، قال: "يا ابني أنت تريد تحريم ما أحله الناس".

وتوصية...

هل ستفكر قيادة وزارة التربية والتعليم التي يبدو سعيها للتغيير واضحا أن تعيد مناقشة وضع كليات التعليم مع وزارة التعليم العالي، وبمقدورها الحصول على مساندة قوية إذا قررت إعادة تأهيل المعلمين الحالي، ليس الأمر دورات وورش نقاش، تتحدث عن إعادة تأهيل. وبمقدوركم الرجوع إلى المختصين.

أحد المعلمين قال: "المواد المتعلقة بأصول التربية وطرق التدريس تقرر في كليات التربية بشكل ثانوي، والتطبيق آخر شيء سيفكرون به". إنا بحاجة لتحويل التدريس من وظيفة إلى مهنة. فمن غير المنطق أن خريجاً حديثاً أصبح موجهاً، أو مديراً لمدرسة.

تصوير/ محمد حويس

▫ المربي الحكيم يتبع الأساليب العلمية .. والعقاب فشل تربوي